الفصل الرابع
السنـــــة

مقدمة:

وهي بعد القرآن الكريم المصدر الثاني للإسلام والتشريع الإسلامي ، ذلك القرآن الكريم جاء بمبادئ عامة دون الدخول في التفاصيل التي تكفلت السنة بإمدادنا بها ، وفي خلال الثلاثة والعشرين عامًا الأخيرة من حياة الرسول عليه الصلاة والسلام وضع هذه التفصيلات الهامة وأحكمها بسلوكه وعاداته الشخصية وبأحاديثه مع أصحابه وبأحكامه التي كان يصدرها فيما يعرض عليه من أمور .

فرض القرآن الكريم الصلاة والصوم والزكاة ولكنه لم يبين كيف تؤدى هذه الفروض ، فتكفلت سنة رسول الله عليه الصلاة والسلام ببيان ذلك تفصيلًا ، ولم تقتصر السنة على بيان ذلك فحسب ، بل شملت بتفصيل وسهاب نواحي هامة من المعملات وآداب السلوك والعلاقات في المجتمع .

وكما قدمنا فإن القرآن الكريم قد أوحى إلى الرسول عليه الصلاة والسلام بلفظه ومعناه ، أما السنة فقد أوحيت إليه معنى لا لفظًا ، ولهذا فإن هناك فرقًا شاسعًا بين لغة القرآن ولغة السنة .

في عهد الرسول عليه الصلاة والسلام كانت سنته أفعالًا وأقوالًا يعيها أصحابه وتنتقل منهم على مر السنين من راوٍ لآخر ، ولم تكتب السنة في عهد الرسول بل يقال : إنه نهى عن كتابتها لئلا تختلط بالقرآن الكريم .

فقد روى مسلم في صحيحه قول الرسول عليه الصلاة والسلام : «**لا تكتبوا عني ، ومن كتب غير القرآن فليمحه ، وحدثوا عني ولا حرج ، ومن كذب عليَّ متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار**» ، ولم يبدأ تدوين السنة إلا حوالي منتصف القرن الثاني من الهجرة ، وفي القرن الثالث بذل مجهودًا متصلًا لتحقيق الحديث وفي خلال هذا القرن وضعت الصحاح الستة وهي : «صحيح البخاري ، مسلم ، الترمذي ، سنن ابن ماجه ، سنن أبي داود والنسائي» ، وقد قام مصنفو هذه الصحاح بمجهود يذكر في تحقيقها وتبويبها فكانوا ينسبون الحديث لمن سمعه من الرسول عليه الصلاة

والسلام ثم من رواه عنه ثم من روىٰ عن الراوي الثاني والثالث والرابع إلى آخر سلسلة الرواة ، ولابد أن يكون كل الرواة من الثقات الذين عرف عنهم الأمانة في النقل والدقة في الرواية ، فإذا ثبت أن أحدهم ليس من الثقات لم يؤخذ بالحديث ، وكان بعض مؤلفي الصحاح يسافرون مئات الأميال لتحقيق حديث واحد من أحاديث الرسول ، ومن هنا نشأ علم الرجال وهو علم يبحث في تاريخ رواة الحديث وقيمتهم ومبلغ الثقة فيهم من حيث رواية الحديث .

ولهذا يمكن القول بشيء من التأكيد :

إن الأحاديث الواردة في الصحاح الستة كلها صحيحة يعتمد عليها ويؤخذ بها ، بهذا الكنز الثمين من الأحاديث النبوية الموثوق بها وضع الرسول السمات النهائية لهذا الدين الحنيف وأرسىٰ قواعده ووضع تفصيلاته العامة وصدق الله تعالىٰ إذ يقول :

﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾

[المائدة:٣] .

السنة في النصوص القرآنية :

﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر:٧] .

﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب:٢١] .

﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾

[النساء:٨٠] .

﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الجمعة:٢] .

ويخاطب الله سبحانه رسوله الكريم عليه الصلاة والسلام فيقول :

﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ﴾ [الشورىٰ:٥٢، ٥٣] .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾ [الأحزاب:٤٥، ٤٦] .

السنة في الحديث النبوي :

«رحم الله امرأ سمع منا حديثًا فوعاه ، ثم بلغه من هو أوعى منه» [١] .

«بلغوا عني ولو آية» [٢] .

«نضر الله امرأ سمع مني حديثًا فحفظه حتى يبلغه غيره ، فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه ، ورب حامل فقه ليس بفقيه» [٣] .

«إن الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال ، ثم نزل القرآن ، فعلموا من القرآن وعلموا من السنة» [٤] .

«عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين ، عضوا عليها بالنواجذ» [٥] .

«إن خير الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هو هدي محمد» [٦] .

«لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعًا لما جئت به» [٧] .

«من تبع سنتي فقد أحبني ، ومن أحبني كان معي في الجنة» [٨] .

«من أحيا سنة من سنتي فعمل بها الناس كان له مثل أجر من عمل بها لا ينقص من أجورهم شيئًا ، ومن ابتدع بدعة فعمل بها كان عليها مثل أوزار من عمل بها لا ينقص من أوزارهم شيئًا» [٩] .

---

(١) ابن عساكر عن زيد بن خالد الجهني .

(٢) البخاري عن ابن عمرو .

(٣) الترمذي عن زيد بن ثابت .

(٤) البخاري ومسلم عن حذيفة .

(٥) أبو داود عن العرباض بن سارية .

(٦) مسلم عن جابر .

(٧) الترمذي عن عبد الله بن عمر .

(٨) البخاري عن أنس .

(٩) ابن ماجه عن عمر بن عوف .